

٢٥٠
هاوي المدرّسي

الصِّراع والتحدّي

في حياة الرّسالي

دار التّيار الجديّد

بيروت - لبنان



الصراع والتحدي

في حياة الرسالي

هاويّ المدرّس

الصِّراع والتَّحدّي

في حياة الرّسالي

دار التّيار الجديّد
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة للناس

الطبعة الاولى

١٩٨٣ م - ١٤٠٣ هـ

الصراع والتحدي في حياة الرسالي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله العظيم « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض » وقال تعالى : « ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » صدق الله العلي العظيم .

* * *

هنالك صراع في داخل الانسان . ومن ثم صراع على وجه الارض .

ابليس ليست له سلطة في هذا الكون ، فلا سلطة له على الشجر والحجر او على الشمس والقمر . ولكن

لابليس سلطان على الانسان • ومدخله للسيطرة عليه
شهواته ، ورغباته ، وعوامل الانحراف فيه •• فلا
صراع اذن بين الله وبين ابليس •

لا يوجد صراع في الكون لان الله وحده هو الحاكم
فيه والسيد عليه •

انما الصراع في داخل الانسان ، بين الشهوات
العابرة والرغبات الشخصية ، وبين العقل والارادة •
الصراع هو بين « الحمأ » المسنون ، والطين الذي خلق
الله الانسان منه ، وبين الروح التي نفخها فيه ، وفي
هذا الصراع ، تارة سيتسلم الانسان للحمأ المسنون
فيخلد الى الارض ، وتارة يرتفع الى السماء ، ويعيش
في اجواء روحية رفيعة • ان هذا الصراع حقيقة ، يشعر
به كل انسان ، ويعيش احواله ، وصعوباته •

ان داخل الانسان ساحة معركة عنيفة تجري
احداثها في كل لحظات الحياة ، واطراف النزاع هي
الشهوات ، والرغبات من جانب ، والقيم والمباني ،
من جانب اخر ••

ودور ابليس في هذه المعركة ، هو دور من يزين
طرف العصية الى طرف الشهوات والرغبات •••
بينما دور الضمير في هذه المعركة هو دور من يزين
طرف الطاعة أي طرف العقل • ففي هذه المعركة هنالك
من يصرخ في أعماق انسان لا •• في الاندفاع نحو
المعاصي •• وذلك في مواجهة الدوافع اللذيذة التي تدفع
الانسان اليها ••

وهكذا فان هنالك - في رأي الاسلام - صراعا في داخل الانسان ، وقد سمى الاسلام ساحة هذا الصراع « محرابا » - وهو اسم مكان من الحرب - ذلك لان الانسان في حالة الصلاة ، يحاول يهاجم على الطرق الآخر فهو يرفض هذا الطرف قائلا : « الله اكبر » .. ويرفع علامة الانتصار على الشهوات والملذات - يديه الى اذنيه - وزمان هذا الهجوم ، ومكانه يعتبران محرابا !

وهو مكان مقدس لا يجوز تلويثه ، ويكره ذكر غير الله فيه •

ومن الصراع الداخلي ، في الانسان ، ينبعث الصراع في الواقع الاجتماعي ، السياسي على وجه الارض ، ذلك لان هنالك من استسلم لشهواته ورغباته ، ويقتل ضميره ووجدانه ، فيكون من جنود ابليس ، ومن انصار الباطل ، واتباع الشر .. كما ان هنالك من يصرع شهواته ، وينتصر للعقل فيكون من جند الله ، ومن انصار الحق ، واتباع الخير •

وكما ان الصراع في الانسان ، حقيقة لا يمكن انكارها ، كذلك فان الصراع في الحياة ، حقيقة لا يمكن انكارها ، وكما لا يوجد انسان لا صراع في اعماقه ، كذلك لا يوجد مجتمع لا يوجد فيه الصراع •

اي كما لا يوجد انسان لا عقل ، ولا شهوات فيه ،

كذلك لا يوجد مجتمع لا يوجد فيه اهل الحق ، واهل
الباطل ..

وهكذا فلا يجوز الخوف من الصراع ، او الهروب
منه ، بل لا بد من البحث عن الحق ، في أي صراع ،
للتمسك به ، والبحث ن الباطل ، لمحاربته .

فاذا وجدت صراعاً في المجتمع فلا تخاف ، ولا
تهرب . بل ابحث عن الجذور ، فاذا لم يكن هنالك ما
يدعو الى الصراع فحاول ان تصلح الامور ، اما اذا
كان هنالك حق وباطل ، فان مسؤوليتك هنا ، ان
تقاوم الباطل وتنصر الحق .. فلا حياء باسم « الحياء
الاجابي » في المجال السياسي فهو مجرد غطاء للعمالة
للشرق والغرب .. حيث انه اراد ان يدفع بمجتمعاتنا
الى حالة من الميوعة في الصراعات الدولية .

وهكذا فان من يحاول الهروب من الصراع ، في
المجتمع .. او يحاول الجمع دائماً بين الاطراف المتنازعة
فهو ليس افضل من ذلك الصحابي الذي كان - ابان
اشتداد الصراع بين الامام علي (ع) ومعاوية - يصلي
مع الامام ، ويأكل الطعام مع معاوية ، وحين وقوع
المعركة كان يجلس على تل يتفرج منه على المتقاتلين
.. ويقول :

الصلاة مع علي اتم ، والطعام مع معاوية ادسم ،
والوقوف على التل اسلم !!

وتلك هي فلسفة كل الخائفين من الدخول في
الصراع ، والجامعين بين الحق والباطل ، والايمان
والنفاق ، وعلي ومعاوية .

ان طبيعة الحق تخالف طبيعة الباطل .. كما ان
طبيعة الظلام تتنافر مع طبيعة النور . وكما لا يمكن
الجمع بين الظلام والنور ، لا يمكن الجمع بين الحق
والباطل ، وكل الذين حاولوا ذلك ابتلوا بخسران الحق
والنفاق معه ..

* * *

لقد خلق الله الانسان ، وخلق فيه نوازع الخير ،
ونوازع الشر ، لكي يمتحنه ويبتليه ..

« انا خلقنا الانسان من نطفة انشاج نبتليه
فجلناه سميعا بصيرا » .

وفي داخل الانسان عوامل تدعوه الى الخير ، وكل
الانبياء والرسالات السماوية ، تؤكد على ذلك .. كما
ان فيه عوامل تدعوه الى الخير ، وكل الانبياء
والرسالات السماوية ، تؤكد على ذلك .. كما ان فيه
عوامل تدعوه الى الشر ، وكل مغريات الحياة ،
والشهوات تؤكد على ذلك .

وبعض الناس يستسلم لعوامل الخير .. فيكون
من انصار الحق ، وبعضهم يستسلم لعوامل الشر ..

فيكون من انصار الباطل ، ويقع بين الطرفين صراع .
ولا ينتهي هذا الصراع الا بانتهاء الانسان من على
وجه الارض . والسؤال الآن هو : كيف يجب ان يكون
موقفنا من الصراع ؟ والجواب :

اولا - لا بد من الهجوم على الصراع ، لا الهروب
منه .

ثانيا - لا بد ان يكون الهجوم على الباطل في
هذا الصراع .

ثالثا - لا بد ان نبحث في هذا الصراع عن عوامل
النصر .

ان بعض الناس يهرب من الصراع ، بالهروب من
الحياة . . . لانه لا يوجد مجتمع بلا صراع . . . ولا طريق
للتخلص من الصراع الا الانزواء في كهف من الكهوف . .

لانه على كل حال هنالك من يقف ضدك ، سواء
كنت من اهل الحق أم من اهل الباطل ، فهناك من
يقف ضدك ، فان كنت من اهل الحق وقف ضدك اهل
الباطل ، وان كنت من اهل الباطل وقف ضدك اهل
الحق .

اذن فلا بد ان يقع بينك وبين جهة ، صراع ونزاع .
ومن يهرب من الصراع يحكم على نفسه بالهزيمة
. . كما ان من لم يبحث عن عوامل النصر ، يحكم
- هو الاخر - على نفسه بالهزيمة .

والمطلوب ليس مجرد خوض الصراع بلا حسابات
او التواكل في المواجهة ٠٠ بل المطلوب معرفة متطلبات
الصراع واسباب النصر ٠

فلا احد يهدي الانسان النصر على طبق من
الذهب ٠٠ بل لا بد من انتزاع النصر بقوة العمل ،
والجهاد ٠

اما ان ينتظر الانسان ان ينوب عنه احد في
الجهاد ٠٠ فهذا انتظار باطل ٠

لقد قالت بنو اسرائيل لنبياها موسى بن عمران
حينما طالبها بانتزاع النصر في المدينة المقدسة من
العدو قالت : « اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا
قاعدون » ٠

فكتب الله عليهم « التيه » اربعين عاما حتى
مات ذلك الجيل كله ، وولد جيل جديد مستعد للدخول
في الصراع ، وانتزاع النصر من العدو ٠٠ ففتح الله
على ايديهم ٠٠

وهنا لا بد ان نتذكر حقيقة هامة ، وهي ان
الانسان يولد ضعيفا في كل شيء ٠٠ ضعيفا في جسمه ،
وضعيفا في روحه ، وضعيفا في نفسيته ويتعرض
للآفات والامراض والمشاكل بسبب هذا الضعف ٠٠

ويكفي في عمق الضعف في الجسم البشري ان

• ميكروبا لا يرى بالعين المجردة يقضي على الانسان .
وحسب علم الطب ، فان اقوى الامراض ،
وافتكها ، هي الامراض الناتجة عن اضعف الميكروبات ،
وهي « الفيروسات » •

ان هذا الانسان والذي قد يتكبر ، ويتجبر -
حتى على ربه - حينما يتوقف عرق صغير في مخه ،
يتفجر ، وينتهي ! ينقطع (الفيوز) فتتوقف الكهرباء
في الانسان فيصبح في خبر كان ١٠٠

• هذا من حيث الجسم •

اما من حيث الروح • فالانسان ايضا ضعيف
فيها • انه عرضة للامراض الفتاكة ، من امثال
مرض « البخل » و « الجبن » و « الخوف » و « الكذب »
و « النفاق » • وهكذا وهذه امراض أكثر خطورة من
أمراض الجسم •

وكما يولد الانسان ضعيفا في جسمه ، كذلك يولد
ضعيفا في روحه • فهو قابل للكسر في كلا الجانبين
من حياته •

فكما يكون جسمه مسرعا للامراض ، تكون روحه
كذلك فهو لا يولد « معصوما » في روحه كما لا يولد
« محصنا » في جسمه ضد الامراض •

يقول الله تعالى - عن ضعف جسم الانسان
« خلق الانسان ضعيفا » النساء ٢٨ •

ويقول تعالى - عن ضعف روح الانسان : « ويدع
الانسان بالشر دعائه بالخير ، وكان الانسان عجولا »
الاسراء / ١١ »

وقد يتساءل البعض لماذا يخلق الله الانسان
ضعيفا ؟

والجواب : لكي يبذل الجهد الشخصي ، من أجل
ان يحول « ضعفه » الى « قوة » فهو يخلق في اجواء
الصراع ، مع الطبيعة ، ومع الامراض وفي هذا الصراع
ومحاولة التغلب عليه ، يكمن التقدم البشري كله .

ضعف في كل شيء من جهة . . وعقل وارادة في
الانسان من جهة اخرى . . وقدرة على المحاولة ، من
جهة ثالثة ، هذا هو الوضع الذي يدفع الانسان الى
بذل الجهود ، و « المحاولة » .

ولان هنالك صراع بين الانسان وبين عوامل
الطبيعة ، فان الانسان كان هو الكائن الوحيد المزود
بوسائل التطور ، كالعقل والارادة والفكر .

فالحيوان يولد ، ومعه كل الوسائل الشخصية
اللازمة لحياته الخاصة ، حتى السلاح يولد الانسان
ومعه حاجته اليه ، كالانياب والمخالب والقوة البدنية .

كما ان الحيوان يولد ، ومعه ما يحتاج اليه من
معرفة بالمضار والمنافع .

بينما الانسان يولد ، وهو لا يعرف اي شيء ،
« والا فخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا » .

ولكن الانسان زود بالعقل والعلم ، والارادة وطلب
منه ، المحاولة . ولولا ضعف الانسان ولولا قدرته على
تحويل الضعف الى قوة لم نكن نمتلك اليوم ،
« القنبلة الذرية » والاسلحة الاخرى . كما لم نكن
نمتلك الصناعة المتطورة . والتقدم العلمي الهائل .

المهم . . كما خلق الله الانسان ضعيفا فانه هيء
له ما يمكنه من تحويل الضعف الى قوة . ولذلك
طالبه الله بأن يحاول ذلك .

ان النبي ايوب حينما شكى الى الله مرضه قائلا :
اني مسني الشيطان بنصب وعذاب .

قال له الله : اركض برجلك « هذا مغتسل بارد
وشراب » فذكره الله بالعلاج . وطالبه بمحاولة شفاء
نفسه عبر الدواء .

وفي حديث شريف ان « موسى بن عمران » مرض
ذات مرة . فقال : لا اعالج حتى يشفني الله ، فأوحى
الله تعالى اليه ، ولا اشفيك حتى تراجع الطبيب .

وهكذا فان الله لم يخلق ضعفا ، الا وخلق السبل
الكفيلة بتحويله الى قوة . . كما لم يخلق داء ، الا

وخلق له دواء ولولا الامراض ، وقدره الانسان على
البحث عن العلاج ، لما كان هنالك تقدم في الطب •

ومن هنا كان ضعف الانسان الطبيعي سببا من
أسباب تقدمه ، حيث دخل بسبب هذا الضعف في
صراع مع عوامل الطبيعة ومن ثم حاول التغلب عليها ،
فكان له ما اراد •• وهذا معنى « الحاجة ام الاختراع »
اما الحيوان ، فهو ، وان كان يولد قويا ومستغنيا
عن الآخرين في حياته الا انه بسبب انعدام الحاجة في
حياته يبقى غير قادر على التطور •• والتطوير •

فالاسد مثلا يولد ، وعلى جلده شعر يدفع عنه
الحر والبرد ، ويمتلك سلاحا يدافع عن نفسه ، ويمتلك
القدرة على الحصول على لقمة الحياة ، من الحيوانات •

ولكن الانسان يولد ، وليس على جسمه ما يدفع
عنه الحر والبرد ، ولذلك فهو يبحث عن وسيلة لذلك ،
ويظل يبحث ويخترع ، ويصنع الوسائل الكفيلة بذلك
حتى يطور الاقمشة والالبسة ، بما نجده اليوم وهكذا
نجد ان الحيوان كما ولد ، يموت ، وحياته حلقة معينة
الحدود لا يتجاوزها بأي شكل من الاشكال بينما
الانسان يعيش في كل عصر بشكل يختلف عن العصر
الذي سبقه •

وهذه الميزة اكتسبها الانسان بسبب الضعف

الذي يعاني منه من جهة ، وبسبب قدرته على التطور ،
والمجال الواسع الذي يجده امامه للعمل من جهة اخرى .

* * *

الصراع اذن ، قدر الانسان ، ولولاه لما كان
الانسان انسانا . ولا كانت الارض كما هي عليه الان
يقول الله تعالى :

« ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت
الارض » .

اي لولا التدافع بين الناس ، والتصارع والتنافس
لفسدت الارض والحياة . ويقول تعالى ايضا :

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت
صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله
كثيرا » .

فالصراع وهو مسرح التقدم البشري ، في مجالات
الحياة ، ومجالات الدين . فالحياة - من جهتها -
قائمة على الصراع بين الانسان وبين عوامل الطبيعة .
كما ان الدين - من جهته - قائم على الصراع بين عقل
الانسان وارادته وبين شهواته ، ورغباته ، وملذاته ،
او الصراع بين اهل الحق واهل الباطل . وهكذا فان
التحدي الذي يواجهه الانسان في الحياة يدفعه الى
الارتقاء والتقدم .

كما ان التحدي الذي يواجهه المؤمنون هو الذي يدفعهم الى مواجهة الطغاة ، والتغلب عليهم في الصراع .

وهكذا نجد ان النهار يتحدى ظلمة الليل ، وان الايمان يتحدى ظلمات الكفر ، وان ابراهيم يتحدى نمرود ، وموسى يتحدى فرعون ، وعيسى يتحدى بني اسرائيل ، ومحمد يتحدى قريش وهكذا . الى يوم يبعثون .

* * *

واذا تساءل البعض : ماذا يحرك التاريخ ؟

لكن جوابنا : الصراع !

فلولا الصراع ، والتحدى الذي يواجهه الانسان ، وبحثه المستمر للتغلب على الاخطار ، لما تغير وجه الزمان ، ولجمدت اشياء الحياة .

* * *

وهذا الانسان بالاضافة الى انه ضعيف فهو محدود القدرات .

فمن الناحية الشخصية فان جسم الانسان محدود . قدراته اعضائه محدودة . فهو لن يطول اكثر .

من مترين ونصف في أطول الافراد ولن يزيد وزنه على
١٢٠ كيلو في اكثر الاحتمالات •

ونمو جسمه محدود في كل شيء منه ، فشعره
محدود في امكانية طولـه ، بينما نجد أن « اشياء »
الحياة الاخرى لها قدرة اكثر من الانسان في النمو ••
فهناك اشجار تطول الى درجة كبيرة •

ولكن •• هذا الانسان الضعيف في جسمه ، ونموه،
له قدرة غريبة على النمو في ثلاث جوانب منه وهي :

اولا - الجانب الروحي •

ثانيا - الجانب النفسي •

ثالثا - الجانب الفكري •

ولقدرته على النمو في هذه الجوانب الثلاث ، كان
قادرا على ان يزيد من قدرة جسمه اضعافا مضاعفة ،
وان يسخر الطبيعية لصالحه ••

فهو الذي يولد ضعيفا جدا ، ولكن لا يلبث ان
يركب في « دبابة » تستطيع ان تهدم اقوى الاشجار،
واقوى الحيوانات واقوى السدود • وهو القصير من
حيث الحجم ، يستطيع ان يزيد من طولـه ، حتى يكون
اطول من الجبال ، وان يبني بناية من مائة وعشرين
طابقا ••

وهو الذي لا تطال ذراعه الا الى نصف متر ،
يستطيع ان يمد يده الى المريخ ، وان يرسل بريدہ
الى القمر ، فالانسان اذا لم يكن قادرا على توسعه
« عينيه » لتصبح اكبر ، فانه قادر على صناعة
« ميكروسكوب » ترى ميكروبات الارض ، او يصنع
« مكبرا » يرى به عصفورا طائرا من بعد عشر
كيلومترات .

كل ذلك بفضل « نموہ » في الجوانب الفكرية
واستعمال عقله لمواجهة التحديات .

وهكذا يكون الصراع ، قدر الانسان ، ووسيلة
للتقدم في مختلف مجالات الحياة .

وقد يتساءل بعض الناس ، ألم يكن من الافضل
ان لا يوجد صراع في الارض ، لئلا يوجد العصاة من
البشر ؟

وربما يطرح هذا السؤال بصيغة اخرى تقول ، ألم
يكن من الافضل ان لا يخلق الله الشيطان ؟

ويطرحه اخرون بالصيغة التالية : لماذا خلق الله
الشر ؟

والجواب على كل ذلك هو : ان الله خلق الانسان
طيبا ، وزوده بكل وسائل الخير ، واعطاه الحرية ،

والارادة • ثم طلب منه ان يتخذ جانب الخير ، ويبتعد
عن الشر •

ولولا وجود الشر والخير ، والصراع بين الحق
والباطل لم يكن هناك اي جد مبرر لوجود الانسان فلو
خلق كل الناس سواسية ، من دون ان يوجد اي عامل
الشر ومن دون ان يمتلك الانسان حرية التصرف ••
لم يكن هنالك اي فرق بينه وبين الحيوانات الطيبة ••
كالدجاجة مثلا •

فوجود الصراع داخل الانسان • ومن ثم وجوده
داخل المجتمع هو الذي يميز الطيب من الخبيث ،
ويعطي لمن يختار الخير قيمة كبرى في الحياة ••

فالصراع + قدرة الانسان على اختيار الحق +
البحث عن عوامل النصر الحقيقي هو اساس خلق
الانسان •

وليس الاعتراض القائل : اذا كان الله يريد الخير
فلماذا خلق الشر ، واذا كان يريد الحق فلماذا خلق
الباطل ، واذا كان يريد النور ، فلماذا خلق الظلمات ،
هذا الاعتراض غير وارد اساسا لانه لا يأخذ بعين
الاعتبار الا صفحة واحدة من تاريخ البشرية وهي
صفحة الباطل ، والشر ، والظلم •

فاذا كانت الصفحة التي تكشف عن الشر ،

والباطل سوداء وسيئة ، فان هناك الصفحة التي
تكشف عن رفض الشر ، ومقاومة الباطل ..

وبمقدار ما تكون الصفحة الاولى سوداء قاتمة ،
بمقدار ما تكون الصفحة الثانية بيضاء ناصعة فلولا
وجود الشيطان ، لم يكن هناك مبرر لوجود الانسان .
ولولا وجود الظلمات ، لم يكن هناك داع لوجود
النور .

ولولا وجود « القبح » لما وجد « الجمال » .
ولنفترض انه لا يوجد ذنب معين يستطيع
انسان ارتكابه . فهل هناك أي قيمة للامتناع عنه ؟
ان الذين يرغبون في عدم وجود الشيطان ، والشر
والباطل ، هم يرغبون في الحقيقة ، في عدم امتلاك
الانسان للحرية ، والارادة .

* * *

حينما اراد الله ان يخلق البشر .. قال للملائكة:
« اني جاعل في الارض خليفة » .
وحينما عرفت الملائكة مكونات البشر ، اعترضوا
على ذلك قائلين :
« اتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ،
ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » ؟

واجابهم الله تعالى :

- « اني اعلم ما لا تعلمون » ٠٠

لقد تصفح الملائكة الصفحة السوداء ، من حياة البشرية ٠٠ فاعترضوا على خلقهم ٠٠ ولكن الله بين لهم ان هنالك صفحة بيضاء في حياة البشرية ايضا هي التي تبرر خلقهم ٠

ان الملائكة تصفحوا حياة قابيل ، ونمرود وفرعون ، وبني اسرائيل ، وكفار قريش ، ويزيد ، والملوك الظلمة ، والرؤساء الخونة ٠٠ فقالوا :

« أتجعل فيها ، من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ولكن الله كان يرى في مواجهة اولئك هابيل ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، والحسين ، وكل الرساليين الثائرين من اتباعهم » ٠

فهم كانوا يرون اهل الباطل فيعترضون ولكن الله كان يرى اهل الحق فيقول لهم :

« اني اعلم ما لا تعلمون » ٠

* * *

ولنعد الى السؤال السابق :

- لماذا خلق الله الشر ؟

والجواب :

- لكي يتجاوز الانسان ، ويقاومه ، ويعاديه ..
ومن ثم « يكون » انسانيته فالشر لم يخلق لكي
يستسلم له الانسان .

تماما كما ان الله لم يخلق الضعف في الانسان
لكي يستسلم له ، بل لكي يحوله الى قوة ..

فهل يجوز لاحد ان يقول : لا يجب على البشر ان
يتعلموا اي شيء وان يتحركوا ، لانه لو كان الله يريد
لهم العلم ، والقدرة على التحرك ، لما خلقهم من جهل
وضعف ؟ ان الله هو الذي خلق ابليس .

ولكن في المقابل ايضا هو الذي خلق في الانسان
القدرة على مقاومته والتغلب عليه .

ومن يطالب ان يبذل الله ، ضعف الانسان ، الى
قوة ، وجهله الى علم ، من دون ان يبذل هو اي
جهد ، فكأنه يطلب من الله ان يحوله من انسان الى
حيوان .

لان الحيوانات يهديها الله بالجبر عن طريق
الفريزة « وما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ، ان ربي
على صراط مستقيم » .

ولكن الانسان زود بالفريزة .. والى جانبها زود
بالعقل .. وزود بالشهوات ، والى جانبها زود
بالارادة .

فهو قادر بالوعي والتعقل ، واستعمال الإرادة ان يختار جانب العقل .. وان يتجنب الشر .. وان ينصر الحق .

وكما ان هنالك « قوة » جسدية مكنونة في الانسان حتى في حالات الضعف ، مثل حالة الطفولة ، فهو يستطيع بالتغذية الصحيحة ان يصبح قويا .

كذلك فان هنالك ، قوة روحية مكنونة في الانسان ، يستطيع ان ينميها في نفسه ، فيختار دائما الخير ، وينصر دائما الحق ويقاوم دائما الشر والباطل ، ولكن بشرط ان ينميها الانسان .

فالعقل .. والارادة .. كالنبات ، بحاجة الى التغذية المستمرة حتى ينمو ، ومن لم يغذ عقله ، بالتفكير ، والوعي ، والعلم فان عقله لن ينمو كما يلزم .

كما ان من لم يغذ ارادته بالتحدي لشهواته ورغباته ، فانها تخور ، ومن ثم تتلاشى في زحمة التحديات التي يواجهها كل انسان .

ومن هنا نجد التاكيد المستمر من القرآن الكريم بضرورة « التفكير » و « التعقل » و « الارادة » ومقاومة الشهوات والرغبات .

ان الانسان ليس بحاجة الى من يدفعه الى السقوط في احضان الشهوات ، ولا الى من يطلب منه

التراجع والاستسلام ، والكسل ، والضجر ، واستعمال
الغريزة بدل العقل •

ولكن بحاجة الى من يحثه على استعمال عقله ،
وتحقيق ارادته •

فأي انسان حينما يجد امامه طعاما شهيا فهو
يجد في نفسه الرغبة بل يده اليه والاكل منه • ولكن
عقله وحده هو الذي يطالبه بأن يبحث عن مصدره ،
وصاحبه والامتناع عنه اذا كان من غير حله •

كما ان ارادته هي وحدها القادرة على ان يطوي
جميعا ما دام لم يسمح له به ••

وهكذا فان استعمال العقل بحاجة الى بذل
الجهة ، وتحقيق الارادة بحاجة الى مواجهة الذات •

واذا كنا نجد ان اكثر الناس ، لم يحققوا
انسانيتهم ، ولم « يكونوا » ذاتهم ، فلان اكثر الناس
لا يؤمنون •• ولا يعقلون •• ولا يتفكرون •• ولا
يعلمون •• كما يقول القرآن الكريم •

ونعود مرة اخرى لنقول :

ان الانسان يولد ضعيفا في جسمه محدودا في
ابعاده المادية وقدراته الجسمية •• ولكنه قادر على
أن يكبر في ثلاثة ابعاد من ذاته وهي :

• أولا : البعد الروحي

• ثانيا : البعد النفسي

• ثالثا : البعد الفكري

فباستطاعة الانسان ، ان يصبح « الاشجع »
و « الاكرم » و « الاتقى » و « والاصدق » و « الاعم »
و « الافضل » من اقارنه ، وبني جنسه •

فهو في الروحيات قادر على النمو بلا حدود •
وهو في النفسيات كذلك قادر على النمو بلا حدود •
وهو ايضا في الفكريات قادر على النمو بلا حدود •
فاذا بالانسان الذي لا يملأ - من حيث الجسم -
الا فراغا محدودا من الفضاء ، ويمكنه ان يملأ الارض
كلها ، والزمان كله ، بعقله وفكره وروحه ، ونفسيته ،
ومواقفه ، ويطولاته ، وانسانيته •

* * *

من كل ما سبق نستخلص ان الانسان مسئول
عن تنمية نفسه ، وروحه ، وفكره ، وان الله انما خلقه
ضعيفا في جسمه ، لكي يبذل الجهد ، وينمي عقله ،
وفكره ، ويحول ضعفه الى قوة وجهله الى علم ، وبذلك
يكون اقوى من المخلوقات الاخرى ، التي تخلق وهي
قوية بمقدار حاجتها •

وليس هذا الامر خاصا بالنواحي الشخصية فقط •

ففي النواحي السياسية والاجتماعية •

ايضا يخلق الله الانسان ضعيفا ، ويطالبه
بالدخول في الصراع ، ومحاولة تحويل الضعف الى قوة •

ومن دون الدخول في الصراع الاجتماعي والسياسي
وتحدي العقبات لن تستطيع امة ان تحتل مكانتها في
هذه الحياة •

ومن هنا فان الرساليين لا يخشون الصراع ، ولا
المواجهة مع التحديات •• وانما يعتبرون ذلك سلما
للمجد ، ووسيلة للترقي •

فالصراع هو اول ما يوطن الرسالي نفسه عليه •
حينما يحمل الرسالة •

ومن يخشاه •• فكأنه يخشى حمل الرسالة لان
ذلك نتيجة حتمية وطبيعية لتحمل الرسالة •

* * *

واذا اخذنا الحقائق السالفة الذكر بعين الاعتبار ،
فلا بد ان نكتشف الكثير من اسباب تأخر امتنا
الاسلامية •

ان بعضنا يتساءل اليوم ١٢

لماذا نحن قليات نسمة ، ومع ذلك يكون اسلامنا

غريبا ، وقرآنا غريبا ، ونبينا غريبا ، ليس فقط في بلاد الاجانب بل في بلادنا الاسلامية ايضا ؟

ففي البلدان التي يشكل فيها المسلمون نسبة ١٠٠٪ او ٩٠٪ من عدد السكان يكون المسلمون غرباء ، والرساليون مطاردون والحركات الاسلامية ، الداعية الى تطبيق حكم الله في ارضه ، ممنوعة ، فكيف ببلاد يكون فيها المسلمون اقلية بينما نجد ان اليهود في الولايات المتحدة لا يشكلون الا ٣٪ من عدد السكان بينما يمتلكون ٣٠٪ من الاقتصاد الامريكي ، و ٩٠٪ من وسائل اعلامها ؟ مع ان وضعهم لم يكن كذلك في السابق فقد جرى استفتاء في عهد الرئيس الامريكي السابق روزفلت حول السماح لليهود بالهجرة الى الولايات المتحدة الامريكية ، فكانت النتيجة ان ٧٠٪ خالفوا ذلك ، و ١٥٪ منهم لم يبدوا رأيا والباقيون وافقوا على ذلك .

فلماذا تبدلت المعادلة ؟

الحقيقة ان الضعف الاساسي هو في داخلنا . ومن هنا كان عدونا اقوى منا فقوة العدو ليست لعوامل ذاتية فيه ، بل لضعف فينا .

فالتخلف الذي تعيشه الامة في مجمل اوضاعها ، وضياح الرؤية السليمة ، والافتقاد الى المنهج السليم للتحرك ، كل ذلك ادى الى وضعنا الفعلي ، موقعنا

• المتهاوي

ان الامة المتقدمة ، هي التي قبلت التحدي
فارتفعت على اسباب العجز ، والخوف ، والتخلف ولا
يمكن ذلك الا بردع الشهوات والرغبات الشخصية ،
في كل فئات الامة •

ان أمة يعبد اثريائها المال ويستعبد شبابها
الجمال • ويعيش فقرائها متقلبي الاحوال ، سيكون
عاقبة امرها حتما الى الوبال •

وان امة يسخو اثريائها بالمال ويوقف شبابها
انفسهم للنضال ويستسيغ فقرائها الاهوال ، لهي
امة تنتزع لنفسها التكريم والاجلال ، يقول الحديث
الشريف :

« قوام الدين والدنيا بأربع » :

- ١ - لعالم يبذل علمه •
- ٢ - جاهل لا يستنكف ان يتعلم •
- ٣ - وغني لا يبخل بجوده •
- ٤ - وفقير لا يبيع اخرته بدنياه •

« فاذا لم يبذل العالم علمه ، استنكف الجاهل
ان يتعلم ، واذا بخل الغني بجوده ، باع الفقير اخرته
بدنياه » •

كيف يعيش تجارنا ؟

وكيف يقضي شبابنا اوقاتهم ؟

وكيف حال علمائنا ؟

حينما ترضينا الاجابة على هذه المسألة سنكون
على الطريق الصحيح ..

ولكن اذا كان تجارنا يعبدون « الاصفار » حيث
يكون كل همهم ان تزداد اصفار حساباتهم في البنوك
في نهاية كل عام ، فان حالنا لن تكون افضل من حال
« الابقار » .

وعلى الاقل ، فان البقرة تمشي ، وتصرخ ،
وتدر اللبن ، اما « الاصفار » فهي مجرد نقوش على
ورق .

واذا كان شبابنا يحرقون اعمارهم في اللهو
واللعب .. وعلمائنا لا يتحملون مسؤولياتهم الاجتماعية
والسياسية .. فان اوضاعنا تبقى على ما هي عليه .

ان المعادلة الحضارية بين العدو - متمثلا في
الدرجة الاولى بالصهيونية - وبين المسلمين مختلفة
حضاريا .

ولذلك فان مليار نسمة - هم المسلمون - لا
يستطيعون رد ثلاثة ملايين .. لان الثلاثة ملايين

يملكون وسائل حضارية متقدمة • والمليار نسمة هم
غناء كغناء السيل •

الخراب في داخلنا نحن •• وليس في قوة عدونا •

لقد سئلت ذات مرة :

ماذا يواجه الامة من تحديات رئيسية ؟ فقلت .
الامة تواجه التحدي الصهيوني • ولكن لا بد ان نفهم
هذا التحدي ليس باعتباره تحديا خارجيا • بل
باعتباره تحديا داخليا •